تخميس الشيخ معروف النودهي لقصيدة (يا من يرى) للحافظ السهيلي دراسة وتحقيق

ژاله جوهر[1] حويز جواد فقی علی [2]

[2،1] قسم القانون، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة كويه، أقليم كوردستان، العراق

المستخلص

إن الحضارة الإسلامية جاءت كشُعلة في سماء الإنسانية و شاركت فيه فئات المجتمع البشري في مختلف الأقوام و معروف عن الكرد ومنذ اليوم الأول لدخولهم الإسلام أخلاقهم وتفانيهم في سبيل هذا الدين، فانكب أبناؤهم على تحصيل العلوم في الوطن وفي المهجر، فمنهم من نبغ، وصار حجة في بعض العلوم، فوضعوا الكتب والشروح والحواشي والتعليقات في مختلف العلوم من تفسير، وحديث، وأصول دين وفقه، وتراجم، وسير، وتاريخ ومعاجم لغوية وفي كل فنون المعرفة وبلغات متعددة. ولم يكن نشاطهم العلمي حصراً في بلاد الكرد، بل قام العديد منهم برحلات علمية إلى البلدان الإسلامية، واستقر بعضهم فيها في محاريب الإمامة، وتصدر القضاء، ومنصة الإفتاء، والتربع على كرسي التدريس، والخلوة في مقامات التأليف، والتفرغ للتصنيف، وتولي المشيخات و الكثير من الأمور السياسية، وبما أوتوا من الحكمة وتبحرهم في العلوم. أما شيخنا (النودهي) ألف في فروع مختلفة من العلوم كالنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والوضع، وآداب البحث، والمناظرة، والفقه، والحديث، وأصولها، والعقائد، والعروض، والقوافي، والفرائض، فضلاً عن تخاميسه البليغة للقصائد المشهورة كقصيدة (البردة)، و(الهمزية) (للبوصيري)، و(بانت سعاد) (لكعب بن زهير)، و(يا من يرى)للحافظ السهيلي، وعدا تشاطير وتسابيع لقصائد أخرى، وقد ترك آثاراً قيمة من الشعر والنثر بالعربية والفارسية، ومتوناً، وشروحاً، ومنظومات علمية تزيد على ستين مؤلفاً، كلها آية في السلاسة والبلاغة، تجعله بحق من العلماء المبرزين في خدمة العلم والأدب.

الكلمات الدالة: تحقيق، تخميس، السُهيلي، المخطوطة، النودهي.

١. المقدمة

١.١مدخل: إنّ الحضارة الإسلامية هي متممة للحضارة الإنسانية، أقيمت حول الفكر الذي كان سائداً، وأضافت إليها ما أضافت، وشاركت الحضارات الأخرى، ثم وبعد امتداد رقعتها شاركت فيها مكونات الأمة الإسلامية، ومنهم الكرد، فالحضارة الإسلامية فكر إنساني شارك فيه جنباً إلى جنب: الكرد، والعرب، والفرس، والبربر والهنود، وغيرهم من مكونات الأمة الإسلامية. وعلى هذا، فالمكتبة العربية الإسلامية تزخر بالكتب والمصنفات التي أسداها العلماء الكرد إليها قديماً وحديثاً، تلك التي تناولت علوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والعلوم الفقهية، والأصول الكلامية، وعلوم اللسان العربي من نحو، وصرف، وأدب، وعروض، وغيرها، ولم تنضب هذه العين الدفاقة، بل بقيت ترفد التراث الإنساني بعطائها السخي إلى عصرنا هذا.

٢.١ سبب اختيار الموضوع: إنّ تاريخ الكرد لايزال بحاجة إلى جمع أوراقه ووثائقه، ومتابعة حوادثه، ومجرياته لاسيما الجانب الثقافي والعلمي، فهو أشد حاجة من غيره إلى العناية والاهتمام، و قد غيب النسيان نتاجات كثير من علمائنا، ولم نعرف لهم منزلتهم ومكانتهم بالتكريم والإعزاز، ولم تحظَ أعمالهم وتراثهم بعناية وإبراز، لا من حيث التحقيق، ولا من حيث الدراسة حتى من المقربين لهم، وكم في النفس من حسرات وزفرات، وحزازات وآلام، لكنها لا تسمن ولا تغني من جوع شيئاً ما لم يصاحبها عملٌ وبحث وتنقيب، وجِد واجتهاد، فالحرص على خدمة مؤلفات علمائنا الأعلام، ووفائنا لهم كان السبب الأول لاختيار موضوع البحث.

٣.١ أهمية الموضوع: هذا النظم: (تخميس الشيخ معروف النودهي لقصيدة (يا من يرى) للحافظ السهيلي) يأتي ضمن سلسلة متلاحقة من الجهود –بإذن الله- يقوم بها طلاب العلم والباحثون في (كردستان) و(العراق) لنفض الغبار عن تراث علمائنا الرواد، وإبراز تراثهم وإنقاذه من طي النسيان، قياماً بواجب الوفاء لهم، لأنّ الشيخ (معروف النودهي) واحد من أبرز علماء الكرد في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد ساهم مساهمة فاعلة في رفد التراث العربي الإسلامي بكثير من المؤلفات القيمة لاسيّما في مجال اللغة، والأدب، والفقه، والأصول، والعقيدة، فسيرة (النودهي) ونتاجاته قمين بأن يدرسا دراسة علمية أكاديمية.

مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٥، العدد ٢ (٢٠٢٢)
أُستلم البحث في ٢٩ كانون الاول ٢٠٢٢؛ قُبل في ٢٣ حزيران ٢٠٢٣
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ١٧ شباط ٢٠٢٤
البريد الإلكتروني للمؤلف: jawad.ali@koyauniversity.org
حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٢ ژاله جوهر حويز، جواد فقی علی. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 40

٤.١ مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في أنّ هناك قصيدة للشيخ (معروف) في تخميس قصيدة (يا من يري)، لأنّ القصيدة ليست محققة تحقيقاً علمياً – حسب علمنا – إلا أنّ هناك إشكالية أخرى أهم مما ذكرنا، وهي أنّ القصيدة المخمسة منسوبة للإمام (الشافعي) – رحمه الله – إلا أنّنا لم نجدها في ديوانه المطبوع، فيا ترى هل القصيدة المخمسة هي للإمام (الشافعي) ؟، أم أنّها منسوبة إليه خطأ ؟، إذ تراودنا الشكوك حول نسبة القصيدة المخمسة للإمام (الشافعي) بما يستوجب الدراسة والبحث.

٥.١ الدراسات السابقة: حظيت مؤلفات الشيخ (معروف النودهي) بما لم يحظ به غيرها من مؤلفات علماء الكرد من التحقيق والدراسة والطبع، إلا أنّ هذه القصيدة – حسب علمنا – لم تحظ بالدراسة والتحقيق.

٦.١ عملنا في التحقيق: يتلخص عملنا في التحقيق فيما يأتي: ترجمة ناظمي القصيدتين: قصيدة (يا من يرى)، و (تخميسها)، ووصف قصيدة (يا من يرى)، ووصف المخطوطة، وموضوعها، وتأريخها، ثم تخريج الآيات، والأحاديث المضمنة للتخميس، وتوثيق ما يستوجب التوثيق بإسناد الآراء إلى أصحابها وتوثيقها.

٧.١ منهج الباحثين: يتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لدراسة القصيدة، وتحقيقها.

٨.١ هيكلة البحث: وزعنا المادة العلمية للبحث على قسمين، خصصنا القسم الأول للدراسة، ويشتمل على ثلاثة مباحث، المبحث الأول في ترجمة (السُهيلي)، والمبحث الثاني في ترجمة (النودهي)، والمبحث الثالث في وصف القصيدتين: (يا من يرى)، و(تخميسها)، وأهميتها مع الاستنتاجات. أما القسم الثاني، فمخصص لتحقيق النص.

٩.١ القسم الدراسي: ندرس في هذا القسم سيرة الشاعرين: (السهيلي)، و (النودهي)، كما نتطرق إلى القصيدتين: قصيدة (يا من يرى)، وقصيدة (التخميس) للشيخ (معروف النودهي) لها، و قد وزعنا المادة العلمية لهذا القسم على مباحث ثلاثة: المبحث الأول في سيرة (الحافظ السُهيلي)، والمبحث الثاني مخصص لسيرة (النودهي)، والمبحث الثالث نتناول فيه دراسة القصيدتين: قصيدة (يا من يرى)، و(تخميسها).

٢. المبحث الأول: ترجمة (الحافظ السهيلي) (٥٠٨هـ-٥٨١هـ)

١-عصره: كان القرن السادس الهجري الذي أظل (السهيلي) من أخصب القرون علماً وثقافة بالأندلس، وذلك لأنّه برز فيه علماء سارت بذكرهم الركبان، وضربت إليهم أكباد الإبل، وقد كانت حلقات العلم –آنذاك - تعج بفنون العلم، وأصناف المعرفة، وإن كان الاتجاه الذي ظهر في هذه الفترة هو الميل إلى العلوم اللغوية والنحوية، وقد غطى على غيره من الدراسات، ونشط فيها الأندلسيون نشاطاً كبيراً.

٢-نسبه: ذكر (أبو الخطاب عمر بن حسن المعروف بابن دحية) (ت٦٣٢) نسب (السهيلي)، فقال: (أبو القاسم السهيلي، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه: أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخل للأندلس، هكذا أملى علىّ نسبه، وقال: إنه من ولد أبي رويحة الخثعمي الذي عقد له رسول الله لواء عام الفتح، ذكره أهل السير) (ابن دحية، بلا تاريخ، ٢٣٠).

ولما كانت ترجمة (ابن دحية) هذه أقدم تعريف ب(السهيلي)، وأوثق رواية من تلميذ عن شيخه، حيث صرح أنّه تلقاها عنه سماعاً، فقد اتكأت عليها المصادر المتأخرة، ولم تضف إليها جديداً ذا بال.

٣-مولده: أقدم تعريف بذلك ما ذكره (ابن دحية) في (المطرب)، قال: (سألته عن مولده فأخبرني أنه ولد سنة ثمان وخمسمائة للهجرة) (ابن دحية، بلا تاريخ، ٢٣٣).

وعن (ابن دحية) نقل (ابن خلكان) وغيره، ولا يكاد يقوم خلاف حول هذا التاريخ سوى ما نقله (ابن الآبار) في التكملة، قال: (وقال أبو القاسم بن الملجوم: أخبرني بمالقة أنه ولد عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة، شك فيه لوقوع مداد على تاريخه) (ابن الآبار، بلا تاريخ، ٣٣/٣).

ولا يحدد (الذهبي) تاريخ ميلاده، بل يقول في (التذكرة): (مولده سنة بضع وخمسمائة) (ابن الآبار، بلا تاريخ، ١٣٤٨/٤)، ولا يذكر ميلاده في (العبر)، بل يجعله ممن توفي سنة ٥٨١هـ، ويقول: (وعاش اثنتين وسبعين سنة) (الذهبي،١٣٧٤هـ، ٨٢/٣).

ومعنى ذلك أنّ (السهيلي) قد ولد في حدود سنة ٥٠٨هـ بمدينة (مالقة)، وهي مدينة كبيرة بالأندلس، يقول (ابن دحية): (نشأ بمالقة وبها تعرف، وفي أكنافها تصرف، حتى بزغت في البلاغة شمسه، ونزعت به إلى مطامح الهمم نفسه) (ابن دحية،بلا تاريخ، ٢٣٠).

٤-كناه: عرف (السهيلي) بثلاث كني، اثنتين منها ذكرها (ابن دحية)، وهما: (أبو القاسم) و (أبو زيد)، والثالثة ذكرها (ابن الآبار) في (التكملة)، قال: (يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسن) (ابن الآبار،بلا تاريخ، ٣٢/٣، و ابن فرحون، بلا تاريخ، ٤٨١/١)، ولا ندري السر في تعدد هذه الكنى، وربما كنى بأسماء أولاده، وإن كنا لا نعرف عنهم شيئاً، ولعله كنى أول الأمر ب(أبي القاسم)، ثم شاء أن يعدل عنها –في رأيي الشخصي- لما أثر عن (رسول الله – صلى الله عليه و سلم) أنه قال: (سموا باسمي، ولا تكنوا بكُنيتي) (رواه البخاري، ٢٠١٦، رقم: ٦١٩٧)، قد يكون هذا سبباً في أن يطلب كنية أخرى، لكنها لازمته، وكانت أعرف كناه.

٥-دراسته: يُرجح أن يكون (السهيلي) قد أخذ تعليمه الأولي على يد أبيه، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى المبادئ الأولى من علوم اللغة وقواعدها، ثم أخذ ينهل من حياض العلم من فقه، وحديث، وتفسير، وقراءات، وتاريخ، ولغة، ونحو، وهي الفنون التي كانت تغص بها حلقات العلم من الأندلس، ويلقنها شيوخ مبرزون، أمثال: (القاضي أبي بكر بن العربي)، و(أبي بكر بن طاهر الإشبيلي)، و(ابن الطراوة)، و(ابن الرماك)، وقد كان لهؤلاء –ولغيرهم من المشايخ- فضل كبير على ثقافة (السهيلي) المتنوعة، وإن يكن الأخيران أكثر تأثيراً في ثقافته التي يغلب عليها اللغة والنحو. (الزاكي، ٢٠٠٠، ٣٣-٤١)

٦-تسميته ب(الحافظ السهيلي): كان (السهيلي) بحكم ذكائه الحاد، وحافظته القوية مؤهلاً ليكون عالماً مبرزاً، بحيث حذق فنوناً وتخصص فيها ؛ فقد أتقن علم القراءات، وعُدّ من شيوخه، فضلاً عن شهرته بحفظ السير والأخبار والأنساب، وإنّ كتابه (الروض الأنف) –و من أشهر تآليفه – بدليل أنه، مجمع المعارف، فما شئت من أحداث تاريخية إلى استنباطات فقهية، وتحقيقات نحوية إلى غير ذلك من أفانين العلم، ودقائق النكت التي طرز بها أبوابه، واستكمل أغراضه تجدها فيه.

٧-مكانته العلمية: ومما قاله المتقدمون عنه أنّه كان: (حافظاً للسير والأخبار والأنساب،إماماً في الحفظ والذكر والإدراك، مقدماً في الفهم والفطنة والذكاء) (ابن الآبار، بلا تاريخ، ٣٢/٣)، وأنّه كان (حافظاً للتاريخ القديم والحديث، ذكياً نبيهاً، صاحب اختراعات واستنباطات مستغربة) (الذهبي، ١٣٤٩/٤)، وكان (الذهبي) حريصاً على أن يلقبه بالحافظ، ويقرن ذلك بما يدل على براعته(الذهبي، ١٣٧٤هـ، ١٣٤٨/٤)، ولم يكن (السهيلي) حبيس فن واحد، فقد كان مع هذا من رواة الشعر وحفاظه،عالماً باللغة بصيراً بها.

٨-شعره: كان (السهيلي) –كما ذكر (ابن الآبار)- على حظ وافر من قرض الشعر، ونصّ غير واحد ممن ترجموا له على أنّ أشعاره كثيرة.(ابن الآبار، بلا تاريخ، ٣٢/٣).

غير أنّ الآراء فيما خلفه من شعر تباينت بين مستحسن لنظمه، منوه بجودته، وقائل

بقصوره عن الجيد، ولعل الرأي الثاني يستند إلى كون (السهيلي) فقيهاً قبل قرضه للشعر، فشهرته الفقهية طاغية على شهرته كشاعر، وقد كان الأدباء ولا يزالون يقدحون في شاعرية الفقهاء، وينازعونهم في صنعة الشعر.(الهاشمي، ٢٠٠٦، ٢٢)، وقد تناول (السهيلي) في شعره أغراضاً مختلفة من مدح، وتوسل، ووصف، وغزل، وحنين.

٩-مصنفاته: على رغم من أنّ (السهيلي) قد عمل في مجال التدريس إلا أنّ هذا لم يأخذه من التصنيف والتأليف، فأخرج المصنفات الكثيرة والمسائل العديدة.(ابن دحية، بلا تاريخ، ٢٣٦-٢٣٧، و ابن فرحون، بلا تاريخ، ٤٨٠/١، و ابن العماد، ٤٦/١)، ومنها: (الأمالي، و الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين، و التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء و الأعلام، و تفسير سورة يوسف، و الروض الأنف، و شرح آية الوصية في الفرائض، و مسألة رؤية النبي في المنام، و نتائج الفكر.)

١٠-وفاته: توفي (السهيلي) بحضرة (مراكش) يوم الخميس، ودفن ظهره، وهو اليوم السادس والعشرون من شعبان عام أحد وثمانين وخمسمائة.) (ابن دحيه، بلا تاريخ، ٢٣٣).

٣. المبحث الثاني: ترجمة الشيخ (معروف النودهي) (١١٦٦هـ-١٢٥٤هـ)

١-عصره: عاش (النودهي) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والعصر هذا كان حافلاً بالأحداث الجسام من الناحية السياسية والأمور الاجتماعية، وكانت الدولة العثمانية تواجه تهديدات وتحديات داخلية وخارجية، ورغبة كثير من ولاة الدولة في التمرد على سلطتها المركزية، وعلى الرغم مما طبع عصر (النودهي) من أوضاع متردية من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلا أنّه استطاع أن يواصل جهوده العلمية في التأليف والتصنيف، ولم تكن تلك الظروف عائقاً أمام مسيرته العلمية كما تبين لنا ذلك في سيرته.(الحسيني،١٩٥٨، ٢٩ وما بعدها، وعلي الوردي،بلا تاريخ، ١٤٩/١ وما بعدها).

٢-اسمه: هو (محمد معروف بن مصطفى بن أحمد بن محمد النودهي البرزنجي)، ينتهي نسبه إلى الشيخ (عيسى البرزنجي)، واشتهر من بينها ب(معروف النودهي) نسبة إلى قرية (نودي) (نوده)، وتعني: القرية الجديدة، وهي تابعة لقضاء (شهربازار/شاربازير) (بابان، ١٨١،١٩٨٦)، تقع شرقي مدينة (السليمانية)، وهي مسقط رأسه.(الزركلي،٢٠٠٢، ١٠٥/٧، و البغدادي،١٩٥١، ٣٦٩/٢، و زكي بگ،١٩٥١، ٢١٩، و زكي بگ، ١٩٤٥، ٢٠١/٢، و الخال (البيتوشي)،١٩٥٧، ٣٧، و الخال (معروف النودهي)،بلا تاريخ، ٧٨، و العزاوي،١٩٦٢، ٥١/٢، و المدرس،١٩٨٣، ٥٧٢، و الجوم حيدري، ٢٠١٧، ٣٦٠). فالشيخ (معروف النودهي) نودهي مولداً، وسليماني موطناً، وبرزنجي نسبة، وشافعي مذهباً، وأشعري عقيدة، وحسيني نسباً، وسني مشرباً، وقادري طريقة. (الخال،بلا تاريخ، ٧٨).

٣-مولده: ولد (النودهي) في القرية التي نسب إليها سنة ست وستين ومائة وألف من الهجرة، وتكاد المصادر والمراجع متفقة على سنة ولادته.

٤-نشأته: انتسب (النودهي) إلى أسرة دينية، فكان منذ طفولته متعلقاً بوالده، الذي رباه وأنشأه نشأة علمية، وبدأ بقراءة القرآن الكريم، ومقدمات من النحو، والصرف، والفقه على النهج المتبع في المدارس الدينية في كردستان، ثم التحق بالمدارس المختلفة المتواجدة في منطقته لتلقي العلوم.

٥-مكانته العلمية: يحتل (النودهي) مكانة سامية بين علماء العراق وأدبائه، فقد كان عالماً أديباً طويل الباع في الفنون الأدبية مع طول الباع في العلوم الإسلامية، وكانت أوقاته كلها مصروفة في خدمة العلم والأدب، وتأليف الكتب، ووضع التصانيف. وكانت له – مع ثقافته العربية- مادة خصبة في الثقافتين الكردية والفارسية، وأصبحت له شهرة ومكانة بين علماء عصره، فقد كان صاحب ذكاء وقاد، وفصاحة بارعة، ولسان طلق، وكان دارساً للفقه وأصوله، وعرض لمسائلها بالشرح والتعليل، وتناول مباحث أصول الدين، وناقش بعض موضوعاته. كما كان ذا اطلاع على كتاب (الله – عز وجل) قراءة وتفسيراً وتجويداً، وكان ذا دراية بعلم الحديث ورجاله، و الإشارة إلى أهم مباحثه ومسائله. أما اطلاعه على اللغة، فتشهد له منظوماته التي تجاوزت عشرة آلاف بيت علاوة على قصائده ورسائله الأدبية مما تشهد كلها على تمكنه، واجادته، ومعرفته بغريب اللغة، وعلمه بلغات العرب ولهجاتها. (الخال، بلا تاريخ، ٩٠).

٦-شعره: قرض (النودهي) الشعر، وقد نظم الشعر الديني الخاص بالمدائح النبوية، كما كان حريصاً في شعره على وضوح وسهولة لغته الشعرية، إذ جنح في ألفاظه وتراكيبه , وأساليبه نحو السهولة، وابتعد عن الغموض، والغرابة، والتعقيد في التعبير. كما ظهر في شعره –كغيره من الفقهاء- الأسلوب المنطقي، والنزعة العقلية، ومرد ذلك يرجع إلى طبيعة حياته العلمية، وكذلك عمله الذي يقتضي منه اللجوء إلى مثل هذه الأساليب باستمرار.

وبناءً على هذا، كان الشيخ (معروف النودهي) ناظماً أكثر منه شاعراً مطبوعاً، فآثاره كلها منظومات علمية، وقد نظم من المتون المشهورة في مختلف العلوم والفنون زهاء ثلاثين متناً، وكان النظم عنده أهون من النثر، فلا يعجز إذا نظم، ولا يتكلف إذا أنشأ.

فشعره عذب اللفظ، سلس الأسلوب، متين العبارة، قلما نجد ضعفاً في نظمه ؛ لأنّ أغراضه الشعرية منحصرة في مدائح الرسول الكريم، والصلاة عليه فحسب، وله في ذلك أعظم رجاء في كرم العاقبة، وحسن الخاتمة، أما باقي الأغراض كالغزل، والنسيب، والوصف، والمدح، والهجاء، والحماسة، والفخر، والعتب، والشكوى، والفكاهة، والمداعبات، فليس له منها شيء، والسبب في ذلك أنّه كان متنسكاً ورعاً، عالماً دينياً، منقطعاً عن الناس، مستغرقاً في التدريس، والتأليف، ونظم المتون، منزوياً في زاوية مدرسته طول حياته يألف العزلة، ولا يعرف عن هذه الأشياء شيئاً، أو لم يكن له ميل لمعرفتها وخوض غمارها. (الخال، بلا تاريخ، ١٨٢).

٧-مصنفاته: المعروف عن الكرد –ومنذ اليوم الأول لدخولهم الإسلام- أخلاقهم وتفانيهم في سبيل هذا الدين، فانكب أبناؤهم على تحصيل العلوم في الوطن وفي المهجر، فمنهم من نبغ، وصار حجة في بعض العلوم، فوضعوا الكتب والشروح والحواشي والتعليقات في مختلف العلوم من تفسير، وحديث، وأصول دين، وفقه، وتراجم، وسير، وتاريخ، ومعاجم لغوية، وفي كل فنون المعرفة الأخرى وبلغات متعددة كالكردية، والعربية، والفارسية، والتركية، وغيرها من اللغات الأجنبية.

ولم يكن نشاطهم العلمي حصراً في بلاد الكرد، بل قام العديد منهم برحلات علمية إلى البلدان الإسلامية، واستقر بعضهم فيها في محاريب الإمامة، وتصدر القضاء، ومنصة الإفتاء، والتربع على كرسي التدريس، والخلوة في مقامات التأليف، والتفرغ للتصنيف، وتولي المشيخات، فضلاً عن غيرها من الأمور السياسية والاجتماعية، وذلك بفضل

(الله – عز وجل)، وبما أوتوا من الحكمة، وتبحرهم في العلوم، وتشهد لهم بذلك تراجمهم في السير، ومعاجم المؤلفين.

أما شيخنا (النودهي) –وهو من هؤلاء النوابغ- ألف في فروع مختلفة من العلوم كالنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والوضع، وآداب البحث، والمناظرة، والفقه، والحديث، وأصولها، والعقائد، والعروض، والقوافي، والفرائض، فضلاً عن تخاميسه البليغة للقصائد المشهورة كقصيدة (البردة)، و(الهمزية) (للبوصيري)، و(بانت سعاد) (لكعب بن زهير)، و(لامية العجم) للطغرائي، و(يا من يرى)للحافظ السهيلي، وعدا تشاطير وتسابيع لقصائد أخرى، وقد ترك آثاراً قيمة من الشعر والنثر بالعربية والفارسية، ومتوناً، وشروحاً، ومنظومات علمية تزيد على ستين مؤلفاً، كلها آية في السلاسة والبلاغة، تجعله بحق من العلماء المبرزين في خدمة العلم والأدب.

فمن تصانيفه: مؤلفات في علم الكلام والعقيدة والفِرق: (أشرف المقاصد، الفرائد في علم العقائد، الدرة الفريدة لطالب العقيدة)، مؤلفات في الفقه وأصوله: (جواهر الفرائض، سلم الوصول إلى معرفة الأصول، قطر العارض، نظم المناهج)، مؤلفات في علم الحديث: (عقد الدرر في مصطلح أهل الأثر)، مؤلفات في اللغة والنحو: (الأحمدية، كفاية الطالب، نظم قواعد الإعراب، الشامل للعوامل، فتح الرؤوف في معاني الحروف)، مؤلفاته في الصرف: (ترصيف المباني، التعريف بأسلوب التصريف)، مؤلفات في العروض: (الدرة العروضية)، مؤلفات في البلاغة: (تنقيح العبارات في توضيح الاستعارات، شرح تنقيح العبارات، عمل الصياغة، غيث الربيع، فتح الرحمن)، آثاره الشعرية في المناجاة والمدائح النبوية: ترك لنا (النودهي) قصائد، ومقطوعات، وتخميسات، وتشطيرات، وتسبيعات في المناجاة والمدائح النبوية، ويصل عددها إلى ألف وخمسمائة وخمسين بيتاً.

٨-وفاته: أشارت معظم المصادر والمراجع إلى أنّ (النودهي) توفي في (السليمانية) سنة أربع وخمسين ومائتين وألف من الهجرة، ودفن بمقبرة (سيوان)، واشتهرت المقبرة فيما بعد باسمه، حيث تزار. (الزركلي، ٢٠٠٢، ١٠٥/٧، و البغدادي،١٩٥١، ٣٦٩/٢، و زكي بكَ، ١٩٤٥، ٢٠٢/١، و زكي بكَ، ١٩٥١، ٢٢٣، و العزاوي، ١٩٦٢، ٥٢/٢، و الخال بلا تاريخ، ٨٧، والخال،١٩٥٧، ٣٨، والجوم حيدري،٢٠١٧، ٣٦٠).

٤. المبحث الثالث: في وصف القصيدتين: (يا من يري، وتخميسها)

الفرع الأول: قصيدة (يا من يرى)

تعد هذه القصيدة من أجل وأعظم المنظومات الوعظية، حيث اشتملت على المواعظ والحِكم، والنصائح والإرشاد، والحث على الزهد والورع، والخشية والخوف من (الله) تعالى، ولذا تسابق العلماء وطلبة العلم على العناية بها حفظاً، وتخميساً، وتشطيراً، وإنشاداً لها.

وإنّه لحقيقٌ بقصيدة تعلق رجاء قضاء الحوائج بإنشادها ونيل الخير والبركة بتلاوتها أن تذيع هذا الذيوع، ويكتب لها من الشهرة والانتشار ما لم يكتب لغيرها.

هناك مسألتان في هذه القصيدة: مسألة عروضية، ومسألة نحوية.

فالمسألة العروضية تكمن في اختيار (السهيلي) بحر الكامل لهذه القصيدة التوسلية، ومرجع هذا أنّ الإنسان في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً كثير المقاطع والحركات والحروف، يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه.

أما المسألة النحوية فتكمن في رفع كلمة (أجمع) في البيت الثالث، يقول (ابن دحية) عن هذا الأمر: (فيجوز أن يكون توكيداً لمكان (إنّ) الابتدائية، إذ موضعها الابتداء، وهي مؤكدة للجملة، لم تغير معناها وإن غيرت لفظها، ألا تراهم قد عطفوا على اسمها بالرفع، وهو إذا استوفت خبرها، نحو: إنّ زيداً قائم وعمرو، وإذا لم تستوف خبرها فلا يُجيز البصريون ذلك، وذلك أنّك إذا قلت: إنّك وزيد قائمان، وجب أن يكون زيد مرفوعاً بالابتداء، ويكون عاملاً في خبر زيد، وإنّ عاملة في خبر الكاف، ولا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد، وأما الكوفيون فاختلفوا، فذهب الكسائي إلى جواز ذلك مطلقاً، سواء تبين عمل (إنّ) أو لم يتبين، نحو: إنّ زيداً وعمرو قائمان، وإنّه وبكر منطلقان، واستدل بقوله جل وعلا (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٩) (سورة المائدة)، فعطف ورفع، وذهب الفراء إلى أنّه لا يجوز العطف إلا على ما لا يبين فيه العمل، نحو: إنّك وزيد ذاهبان، لأنّه بعدم التأثير ضعفت، فجاز العطف كما لو كان على المبتدأ، وإذا كان كذلك جاز أيضاً توكيد الموضع بالرفع، والله أعلم) (ابن دحية،٢٣٤ بلا تاريخ، -٢٣٥).

وقال (اليافعي): (قوله: فإنّ الخير عندك أجمع: يحتاج إلى تأويل في إعرابه، والإلزام أن يكون من الإقواء المعيب في الشعر، فإنّ أجمع تأكيد للخير وهو منصوب، فيكون منصوباً) (اليافعي،١٩٩٧، ٣٢٠/٣).

أدلة توثيق نسبة القصيدة إلى (السهيلي): وردت قصيدة (السهيلي) في مصادر موثوقة متعددة، نذكر منها: المطرب من أشعار أهل المغرب، (ابن دحية، بلا تاريخ، ٢٣٤، و فيات الأعيان، (ابن خلكان)،بلا تاريخ، ١٤٣/٣، الديباج المذهب، (ابن فرحون)،بلا تاريخ، ٤٨٠/١-٤٨١، مرآة الجنان، (اليافعي)،١٩٩٧، ٣٢٠/٣، نكت الهميان في نكت العميان، (صلاح الدين الصفدي)،١٩١١، ١٨٨، الوافي بالوفيات، (صلاح الدين الصفدي)، ٢٠٠٠، ١٠٢/١٨، البداية والنهاية، (ابن كثير)، ١٩٩١، ٣١٨/١٢-٣١٩، نفح الطيب، (التلمساني)، ١٩٦٨، ١٠٢/٢-١٠٣، بغية الوعاة، (السيوطي)،١٩٦٥، ٨١/٢، طبقات المفسرين، (الداوودي)، بلا تاريخ، ٢٧٤/١، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، (السملالي)،١٩٩٣، ٦٤/٨، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الناصري)،١٩٩٧، ٢١١/٢، الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، (عبد الصمد كنون)،١٩٨٦، ١٣٥-١٣٦، التدوين في أخبار قزوين، (القزويني)، بلا تاريخ، ١٤/٣-١٥، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (ابن العماد)،١٩٨٦، ٤٦/١-٤٧.

الفرع الثاني: قصيدة تخميس (النودهي)

١-معنى التخميس:

أ-التخميس لغة: يقول (ابن منظور) في مادة (خمس): (الخمسة من عدد المذكر، والخمس من عدد المؤنث، يقال: خمسة رجال، وخمس نسوة).

ثم ذكر أشياء يتصل معظمها بالعدد، مثل: المخمس من الشعر: ما كان على خمسة أجزاء، أخمس: يقال أخمس القوم: صاروا خمسة، مخموس: يقال رمح مخموس: طوله خمسة أذرع، الخِمس: وهو أن ترد الإبل الماء اليوم الخامس، الخميس: من أيام الأسبوع، التخميس في سقي الأرض: السقية التي بعد التربيع، الخماسي والخماسية من الوصائف: ما كان طوله خمسة أشبار، خُمْس وخُمُس وخِمْس: جزء من خمسة، الخميس: الجيش الجرار، وسمي بذلك لأنّه خمس فرق، المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.الخِمْس: اسم قبيلة.

ب-التخميس اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي للتخميس لا ينفك عن المعنى اللغوي المعجمي، فالاصطلاح قائم على اللغة، فالتخميس بحسب الأحرف الأصول موجود في اللغة، وبالزيادة التي طرأت عليها أيضاً.

فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي متحققة في العدد أولاً، وتكاد تُلمح في أشياء أُخر بحسب ما نراه.

فالتخميس: هو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول، فتصير خمسة أشطر، ولذلك سمي تخميساً.(الهاشمي، ٢٠٠٦، ١٥٦).

أما عن جماليات التخميس، فلها جاذبية خاصة تريح النفس عند سماعها أو قراءتها، وتعطي رونقاً جديداً ؛ لأنّ الشاعر المخمس إنّما تنقدح قريحته عندما يتأثر ببيت شعر، أو مقطوعة، أو قصيدة.

٢-وصف مخطوطة قصيدة التخميس: اسم المنظومة: تخميس الشيخ (معروف النودهي) على قصيدة (يا من يرى) للإمام (الشافعي)، والقصيدة هذه منسوبة إلى الشيخ (معروف محمد بن مصطفى النودهي)، أما تأريخ نظمها فمجهول، واسم الناسخ هو (ملا معروف بن ملا رسول السيرپي) (الشهير بملا معروف القاضي)، وقام بالنسخ عام ١٣٢٧ للهجرة النبوية الشريفة، وهي مؤلفة من ثلاث صفحات، وقياس الورق: ١٥.٥x٢١.٥سم، واللون أبيض، أما نوع الخط فالنسخ، ولون المداد أسود، وفي كل صفحة ١٢ سطراً.

إنّ هذه القصيدة –وفي مصادر متعددة- منسوبة إلى الشيخ (معروف النودهي)، ولم نجد من ينسبها إلى غيره، فلا يراودنا الشك في النسبة، ومما هو جدير باللحاظ هو أنّ قصيدة(يا من يرى) جاءت في بيانات هذا المخطوط منسوبة بالخطأ إلى الإمام (الشافعي) (ينظر: ديوانه)، فهي لم ترد في ديوانه، ولكنها وردت عن (الحافظ السهيلي)، فقد ذكر (محمد الخال) في كتابه أنّ هذه القصيدة للإمام (الشافعي)، وهذا خطأ بيّن، وعدم تحري الدقة، وعدم الرجوع للنص الأصلي في المصادر المختلفة، وربما نقل –لمجرد النقل فقط- من بيانات هذا المخطوط دون تأصيل أو تحقيق. (الخال، بلا تاريخ، ٩٠، ١٧٤).

وعلى هذا، فأصل التخميسة منظومة (للحافظ السهيلي)، وعدد أبياتها اثنا عشر بيتاً، أي أربعة وعشرون شطراً، خمّسها الشيخ (معروف النودهي) إلى ستين شطراً.

٣-أهم الملحوظات عن قصيدة التخميس: يبدو لنا أنّ القصيدة وتخميسها بينهما خيط رابط، وهو التوسل إلى الخالق، والتضرع إليه، وهي جديرة بتسجيل بعض الملحوظات عنها، وكما يأتي:

أولاً: إنّ القصيدة مقدمة بتمهيد استعدادي للموضوع، ويتناول فيه إخلاص النية إلى الخالق، وإظهار عظمته.

ثانياً: الغرض الأساسي من القصيدة: تعالج فكرة التوسل إلى الباري جلت قدرته، وفيه يعبر عن توبته مما صدر منه من ذنوب وخطايا، ويعقد العزم على اللجوء إلى (الله) عز وجل، سائلاً إياه العفو والمغفرة، قارعاً باب رحمته التي لا ترد مذنباً خائباً.

ثالثاً: وحدة ختامية، وتعرض لإثارة شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: اقتباسه معاني تخميسه من نصوص الكتاب والسنة، وهو أمر طبيعي، إذ المقام يتعلق بغرض ديني محض، لا تشوبه شوائب الدنيا، ولا منزع فيه لملاذها وبهارجها، فتوسله بذلك نصي شرعي.

خامساً: اتجه (النودهي) إلى التوسل، وطلب العفو والشفاعة، فكان توسله توسل متفائل مؤمن بعفو ربه، وشفاعة نبيه.

سادساً: لا تتم الشفاعة، والعفو، والرحمة إلا بإبداء دلائل التوبة النصوح وبراهينها، لذلك نجده يسوق بعضها، ويعتمدها في طلب النجاة، وهذه الدلائل تتمثل في الحجج القرآنية والأحاديث النبوية التي أثرت النص وأغنته.

سابعاً: من الحق أنّ إصابة المعاني الشريفة ليس بالأمر اليسير، فمن أُوتي ذلك استوفى به باباً قوياً من أسباب الجمال.

ثامناً: اهتم (النودهي)بالتكرار، والمجانسة لما توفره من إمكانيات تنغيمية ودلالية، فقد وظفها لتقوية الجانب الإنشائي في موضوعه عن طريق إثارة العواطف، فالتكرار ظاهرة لغوية لها دلالات متنوعة.

تاسعاً: كثرة النداء والمد للدلالة على الآهات، والاستسلام، والعجز، والندم على ما بدر منه، وهي قرائن توضح ما يطبع النص من تعبير عن حزنه على ما اقترفه من ذنب، وشعوره بعبء ذلك، ومحاولة التغلب عليه بالتوسل ب(بخير الخلائق شافع ومشفع).

عاشراً: وهكذا تسير تخميسته على هذه الوتيرة، مرتكزاً على صدق العاطفة، ورقة الشعور، فضلاً عن سهولة الألفاظ، وسلاسة الأساليب الإنشائية –من نداء، وتمن، ورجاء، ودعاء، وطلب- القادرة على أداء ما تجيش به نفسه من مشاعر، وما يريد أن يثيره.

الحادي عشر: استطاع (النودهي) من خلال تخميسه أن ينفث همومه وأحزانه، ورغبته في الخروج من سجن الذنب، والشعور بالخطأ، والرغبة في التخلص منه، وما كان هذا ليتحقق إلا من خلال اعتماده المقاطع الممدودة الطويلة(التخميس).

الثاني عشر: ومن غريب أمر (النودهي) أنّه في تخاميسه أقوى منه في أشعاره، فهو في الأول مجيد إجادة تشهد له بشدة الرسوخ، والوقوف على معاني الشعر، وأساليبه العربية، أما في الثاني فلا، فالمقام مقام توسل، وشعور بالذنب والخيبة، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على أنه ناظم أكثر منه شاعراً، وتابع ومقلد أكثر منه متبوعاً ومبتكراً. و على هذا فمشاعره الفياضة وتوسله ورجاؤه في تخميسته الشريفة النفيسة نابع من تجربة روحية خالصة، مستمدة من روح الدين الحنيف.

٥. القسم الثاني: التحقيق

يا من يجود بما يشاء ويمنع (١) يا من إليه في النوائب يفزع
يا من به شمل المآرب يجمع يا من يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يتوقع

*قوله: (يا من يجود بما يشاء ويمنع) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨) (سورة النحل)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩) (سورة سبأ)، وكذلك في سور (هود): الآية١٠٨، و(الرعد): الآية ٢٦، و(الإسراء): الآية٢٠، و(طه): الآية ٥٠، و(ص): الآية ٣٩، و(النبأ): الآية ٣٦، و(الضحى): الآية ٥، و(الكوثر): الآية ١.

*قوله: (يا من إليه في النوائب يفزع) (النوائب: المصائب والنوازل الشديدة المؤلمة) وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥) (سورة البقرة)، وكذلك في سور (آل عمران): الآية ١٦٥، و(النساء): الآية ٧٩، و(الأنعام): الآية ٤٢-٤٣، و(الأعراف): الآية ٥٥-٥٦، ١٦٨، و(هود): الآية ٣، و(الأنبياء): الآية ٣٥، و(الحج): الآية ٤١،

و(النور): الآية ٥٥، و(الروم): الآية ٤١، و(الشورى): الآية ٣٠-٣١، و(التغابن): الآية١١، ومما يشهد قول السيدة (خديجة) في حديث بدء الوحي: (كلا و(الله – عز وجل) ما يخزيك الله أبداً، إنّك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) (رواه البخاري: رقم ٣).

*قوله: (يا من به شمل المآرب يجمع) (المآربة: البغية والحاجة الملحة) (البيهقي، د.ت،١/ ١٥٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة (طه): (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨).

*قوله: (يا من يرى ما في الضمير ويسمع) إشارة إلى صفتين من صفات الله اللتين هما: السميع و البصير. (العمراني، ١٩٩٩، ٢/ ٥٨١)، فيه إشارة إلى قوله تعالى: (أَوَ لَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ٧٧) (سورة البقرة)، وقوله تعالى: (سورة البقرة: الآية ٢٨٤)، وكذلك في سور (آل عمران): الآية ٢٩، ١١٩، ١٥٤، ١٦٧، و(النساء): الآية ٦٣، و(المائدة): الآية ٧، ٦١، ٩٩، ١١٦، و(الأنعام): الآية ١١٧، و(الأنفال): الآية ٤٣، و(التوبة): الآية ٤٤-٤٥، ٤٧، ٦٤، ٧٨، ٩٤، ١٠١، ١٠٧، و(يونس): الآية ٤٠، ١٠٠، و(هود): الآية ٥، ٣١، و(الرعد): الآية ٤٠، و(النحل): الآية ١٩، ٢٣، ١٢٥، و(الإسراء): الآية ٢٥، ٣٦، ٤٧، و(طه): الآية ٧، و(الأنبياء): الآية ١١٠، و(النمل): الآية ٢٥، ٧٤-٧٥، و(القصص): الآية ٨٥، و(العنكبوت): الآية ٢-٣، ١٠-١١، ٤٢، و(لقمان): الآية ٢٣، و(الأحزاب): الآية ١٩، ٥١، و(فاطر): الآية ٣٨، و(الزمر): الآية ٧، و(غافر): الآية ١٩-٢٠، و(الشورى): الآية ٢٤-٢٥، و(الأحقاف): الآية ٨-٩، و(الفتح): الآية ١١، ١٨، و(ق): الآية ١٦، و(النجم): الآية ٣٠، ٣٢، و(الحديد): الآية ٦، و(الممتحنة): الآية ١، ١٠، و(المنافقون): الآية ١١، و(التغابن): الآية ٤، و(الملك): الآية ١٣، و(الانشقاق): الآية ٢٣، و(الأعلى): الآية ٧، و(العاديات): الآية ١٠.

يا منزل البركات فاتح قفلها (٢) يا مبدلاً صعب الأمور بسهلها
يا رب كم عُقد مننت بحلها يا من يرجى للشدائد كلها
يا من إليه المشتكى والمفزع

*قوله: (يا منزل البركات فاتح قفلها) (أي: يا من هو مصدر بركات الأرض والسماء، مفتاح المغلقات عندك، وأنت الذي أنزلت القرآن، وسهلت لفظه، ويسرت معناه، وهيأته للذكر)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة (الأنعام): (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢ ﭘ

وقوله تعالى: ﭘ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ ﭙ (سورة الأنعام)

وقوله تعالى في سورة (ص):كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ﭙ، وقوله تعالى: ﭽحمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ ﭙ (سورة الدخان).

وقوله تعالى في سورة (القمر) ﭽوَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﭙ

*قوله: (يا مبدلاً صعب الأمور بسهلها، يا رب كم عُقد مننت بحلها، يا من يرجى للشدائد كلها) (أي: أنّ الأمور الصعبة لا يسر فيها إلا بإذن (الله)، وهو –جل شأنه- يحل العقد، ويرجى في المحن)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﭽوَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ﭙ (سورة يس)، وقوله تعالى في سورة (الشورى): ﭽوَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨.

يا من به ظن البرية قد حسن (٣) يسر لنا من أمرنا ما لم يهن
ومن المواهب هب لنا ما لم يكن يا من خزائن رزقه في قول كن
امنن فإنّ الخير عندك أجمع

*قوله (يا من به ظن البرية قد حسن) (أي: أنّ خلائق (الله) يحسنون الظن بخالقهم، ولا ملجأ لهم إلا هو)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة (البقرة): (فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢)، وقوله تعالى في سورة (إبراهيم): (وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧)، وورد في قول (رسول الله) (صلى الله عليه وسلم): ((قال (الله) (عز وجل): أنا عند ظن عبدي بي) (رواه البخاري، رقم: ٧٥٠٥)، و(رواه مسلم، رقم: ٢٦٧٥).

*قوله: (يسر لنا من أمرنا) (أي: أنّه لا ميسر لأمر الإنسان إلا (الله – عز وجل)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠) (سورة الكهف)، وقوله تعالى في سورة (طه): (وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦).

*قوله: (يا من خزائن رزقه في قول كن) (أي: أنّ الرازق هو (الله)، فهو يرزق بكن فيكون)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧) (سورة البقرة)، وكذلك في سور (آل عمران): الآية ٤٧، ٥٩، و(الأنعام): الآية ٧٣، و(النحل): الآية: ٤٠، و(مريم): الآية ٣٥، و(يس): الآية ٨٢، و(غافر): الآية ٦٨.

أحمال إجرامي عليّ ثقيلة (٤) والباقيات الصالحات قليلة
عزّت وسائل بالفلاح كفيلة ما لي سوى فقري إليك وسيلة
وبالافتقار إليك فقري أدفع

*قوله: (أحمال إجرامي عليّ ثقيلة) (فيه هضم النفس، والاعتراف بالقصور أمام ما أنعم (الله) على العبد من النعم)، و(الباقيات الصالحات) (أي: أنّ الأعمال الصالحة لي قليلة)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى:(ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦) (سورة الكهف)، وفي سورة (مريم): الآية ٧٦، ومما يؤكد ذلك قول (رسول الله): (استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يا رسول الله؟، قال: التهليل، والتكبير، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) (مسند أبي يعلي الموصلي، رقم:١٣٨٤)، و(صحيح الجامع، الألباني، رقم: ٣٢١٤).

*قوله: (عزت وسائل بالفلاح كفيلة) (أي: أنّ وسائل الوصول إلى رضا (الله) عزيزة، فليس لي وسيلة سوى فقري ومسكنتي)، كما فيه إشارة إلى قول (رسول الله- صلى الله عليه و سلم): (لن يُدْخِلَ أحداً عملُهُ الجنَّةَ، قالوا: ولا أنت يا (رسول الله)؟ قال: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمدني (الله) بفضل ورحمة، فسدّدوا، وقاربوا.) (رواه البخاري: رقم ٥٦٧٣).

يا منعماً قد فاض طافح يمّه (٥) بالعبد أرحم من أبيه وأمه
من ذا دعاك فلم يفز بمهمه ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع؟!

*قوله: (يا منعماً قد فاض طافح يمه، بالعبد أرحم من أبيه وأمه) (يا (الله) الذي فاض طافح كرمه بعبده، فأنت أرحم من الوالدين بولدها)، كما فيه إشارة إلى قول (رسول

الله): ((الله) أرحم بعباده من هذه بولدها) (رواه البخاري، رقم:٥٩٩٩)، و(رواه مسلم، رقم: ٢٧٥٤).

*قوله: (من ذا دعاك فلم يفز بمهمه، ومن الذي أدعو وأهتف باسمه) (أي: لا خيبة لمن يرجوك، فمن يرجى في الشدائد؟!، هو (الله) وحده لا غيره، فلا ناظر ولا معين للعبد إلا هو)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨) (سورة البقرة: الآية ١٨٦)، وقوله تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢) (سورة النمل).

وفررتُ نحوك تائباً متبتلاً (٦) ومهللاً ومحسبلاً ومسبحلاً

وبك استعنت على العبادة مقبلاً وجعلتُ معتمدي عليك توكلاً

وبسطتُ كفي سائلاً أتضرع

*قوله: (وفررتُ نحوك) (ففررتُ نحوك فرار التجاء، فأنا التائب، المتبتل، الذاكر، المهلهل، المسبح، المحسبل)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠) (سورة الذاريات: الآية ٥٠).

*قوله: (متبتلاً) (أي: المنقطع لعبادة (الله)) وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨) (سورة المزمل)، وقوله تعالى في سورة (الشرح) (فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨).

*قوله: (مهللاً ومسبحلاً) (أي قائلاً: لا إله إلا الله وسبحان الله) فيه إشارة إلى قول (رسول الله): (إنّ مما تذكرون من جلال الله: التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش، لهنّ دويٌّ كدويّ النحل، تُذكر بصاحبها، أمَا يحب أحدكم أن يكون له من يُذكر به؟) (سنن ابن ماجة، رقم: ٣٨٠٩، وأبو نعيم في الحلية، ٢٦٩/٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم: ٣٣٥٨، وصحيح الجامع، الألباني، رقم: ٧٩٥٥).

*قوله (محسبلاً) (أي قائلاً: حسبي الله ونعم الوكيل) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣) (سورة آل عمران).

*قوله: (وبك استعنت على العبادة مقبلاً) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥) (سورة الفاتحة)، ويؤكده قول (رسول الله – صلى الله عليه و سلم): (يا غلام، إنّي أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) (صحيح الجامع، الألباني، رقم: ٧٩٥٧).

طه علوم اللوح قد أورثته (٧) وعلى الهداية للرشاد حثثته

وحديثه للعالمين بثثته فبحق من أرسلته وبعثته

وأجبت دعوة من به يتشفع

*قوله: (طه علوم اللوح قد أورثته) (فيه إشارة إلى اسم الرسول (محمد) (صلى الله عليه وسلم)، فهو يقول: إنّك أورثت علوم اللوح المحفوظ، وتكفلت بهداية الأنام، وإرشادهم، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى:(طه ١) (سورة طه: الآية ١)، وقوله تعالى: (بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢) (سورة البروج)، وفي قول (رسول الله): (أُعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش) (ضعيف الجامع الصغير، الألباني،بلا تاريخ، رقم:٩٥٠).

*قوله: (وعلى الهداية للرشاد حثثته) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤) (سورة يس)، وقوله تعالى في سورة (الفتح) (إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣)، وقوله تعالى في سورة (النجم)، (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣).

*قوله: (وحديثه للعالمين بثثته) (أي: أنّ الرسول (محمد) (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يُوحى، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩) (سورة النحل)

وبحق من للدّين كان مروجا (٨) وبنوره كشف الغياهب والدجى

وبجاه من للخطب كان مفرجا اجعل لنا من كل ضيق مخرجا

والطف بنا يا من إليه المرجع

*قوله: (وبحق من للدين كان مروجا، وبنوره كشف الغياهب والدجى، وبجاه من للخطب كان مفرجا) (فالرسول (محمد) (صلى الله عليه وسلم) هو المروج لدين (الله)، ونوره الكاشف لغياهب الدجى، وهو المفرج للخطب)، كما فيه إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧) (سورة الأنبياء: الآية١٠٧)، وقوله تعالى في سورة (آل عمران): الآية ١٦٤: (لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤)، وقوله تعالى في سورة (المائدة) (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥)، وقوله تعالى في سورة (الأعراف) (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧)، وقوله تعالى في سورة (الأحزاب) (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦)، وقوله تعالى في سورة (الشورى) (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣)، وقوله تعالى في سورة (الجمعة) (هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢).

*قوله: (اجعل لنا من كل ضيق مخرجا) فيه إشارة إلى قوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣) (سورة الطلاق)، ويؤكد ذلك قول (رسول الله): (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب).(سنن أبي داود، رقم: ١٥١٨، وسنن ابن ماجة، رقم: ٣٨١٩، وأبو نعيم في الحلية: ٢١١/٣).وفي البيت إشارة إلى جواز التوسل بجاه النبي (محمد) (صلى الله عليه وسلم)، وفيه يفصح (النودهي) عن توجهه الصوفي.

ناجيتُ ربي راجياً لنواله (٩) متوسلاً بجلاله وجماله

وخليلهِ المحمودِ كل خلاله ثم الصلاة على النبي وآله

خير الخلائق شافع ومشفع

*قوله: (متوسلاً بجلاله وجماله، وخليله المحمود كل خلاله) (في هذا البيت الأخير يصل (النودهي) بعد توسله من (الله) بجاه نبيه (محمد) قائلاً: ناجيتُ ربي راجياً لنواله، متوسلاً بجلاله وجماله، وخليله المحمود، أي النبي المحمود كل صفاته)، وفيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة (آل عمران) (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣)، وقوله تعالى في سورة (النساء) (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤)، وقوله تعالى في سورة (الأنفال) (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣)، وفي حديث (رسول الله): أنّ رجلاً ضريراً أتاه يطلب الدعاء بالعافية، فأمره أن يتوضأ، وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: (اللهم إنّي أسألك، وأتوجه إليك بنبيك (محمد)، نبي الرحمة، يا (محمد) إنّي توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهم فشفعه فيّ) (صحيح الجامع: الألباني: رقم ١٢٧٩). وكغيره من شعراء المديح النبوي يختم (النودهي) القصيدة بذكر صفات النبي الكريم، ثم الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الكرام.

٦. الخاتمة في الاستنتاجات والتوصيات:

بعد الدراسة والتحقيق توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات نذكرها أدناه:

أولاً: الاستنتاجات

١-لم يكن الكرد متميزين بالجلد والشجاعة فقط، بل اشتهروا بالعلم والأدب، فبرز منهم رجال ملأوا الدنيا بعلومهم، وثقافتهم، وإبداعاتهم، وكانت (كردستان) تعج بآلاف المدارس الإسلامية، وبعشرات الأسر العلمية، فكان (النودهي) هو أحد حمابذة العلم والأدب الكردي والعربي، فقد كان فقيهاً بارعاً، ومرشداً كاملاً، وصوفياً سالكاً، وأستاذاً ألمعياً، وضع العديد من الكتب والتصانيف العديدة في مختلف العلوم.

٢-قصيدة (يا من يرى) منسوبة بالخطأ إلى الإمام (الشافعي)، الأمر الذي ذُكر أيضاً بالخطأ في بيانات هذا المخطوط موضوع البحث، ومنها نقل (محمد الخال) وغيره ممن اهتموا، وعنوا بسيرة (معروف النودهي) ومؤلفاته، فنسبوا القصيدة للإمام (الشافعي) دون تحقيق أو تأصيل.

٣-أثبتنا بالدليل القاطع الذي لا تشوبه شائبة أنّ قصيدة (يا من يرى) وردت عن (الحافظ السهيلي) تأصيلاً وتحقيقاً من خلال الرجوع إلى المصادر العديدة التي أثبتت صحة نسبها له.

٤-الأصل في التخميس أنه يدور حول شكر الله تعالى، والثناء عليه، والدعاء، والاستغفار، والتوسل برسوله الكريم، وغير ذلك مما يكون بين العبد وربه، فتميز نظمها بعاطفة جياشة، لا يرقى إلى صدقها شك تجاه الخالق عز وجل، والصدق هذا نابع من كونه تجربة روحية خالصة، مستمدة من روح الدين الحنيف.

٥-امتازت لغة (السهيلي) و (النودهي) بالسهولة، والخلو من الوعورة، والتعقيد، وكان للصياغة القرآنية أثرها الكبير في شعرهما اقتباساً و تضميناً، إذ استخدما ألفاظاً، وتراكيب، ومفاهيم هي أقرب منها إلى الألفاظ، والتراكيب، والمفاهيم القرآنية، وهذا واضح في الأصل وتخميسه موضوع البحث.

٦-ظهر في شعر (السهيلي) و (النودهي) وغيرهما من الفقهاء الأسلوب المنطقي، والنزعة العقلية، ومرد ذلك راجع إلى طبيعة حياتهم العلمية، وكذلك عملهم الذي يقتضي منهم اللجوء إلى مثل هذه الأساليب باستمرار.

٧-كان الشيخ (معروف النودهي) ناظماً أكثر منه شاعراً مطبوعاً، فآثاره كلها منظومات علمية، بل هو رائد الشعر التعليمي لدى الكرد، وقد نظم من المتون المشهورة في مختلف العلوم والفنون زهاء ثلاثين متناً، وكان النظم عنده أهون من النثر، فلا يعجز إذا نظم، ولا يتكلف إذا أنشأ، فشعره عذب اللفظ، سلس الأسلوب، متين العبارة، قلما نجد ضعفاً في نظمه ؛ لأنّ أغراضه الشعرية منحصرة في مدائح الرسول الكريم، والصلاة عليه فحسب، وله في ذلك أعظم رجاء في كرم العاقبة، وحسن الخاتمة، أما باقي الأغراض كالغزل، والنسيب، والوصف، والمدح، والهجاء، والحماسة، والفخر، والعتب، والشكوى، والفكاهة، والمداعبات، فليس له منها شيء، والسبب في ذلك أنّه كان متنسكاً ورعاً، عالماً دينياً، منقطعاً عن الناس، مستغرقاً في التدريس، والتأليف، ونظم المتون، منزوياً في زاوية مدرسته طول حياته يألف العزلة، ولا يعرف عن هذه الأشياء شيئاً، أو لم يكن له ميل لمعرفتها وخوض غمارها.

ثانياً: التوصيات: نوصي بما يأتي:

١-من الواجب أن نُعنى بالمخطوطات التي تزخر بها مكتباتنا في العلوم المختلفة، ونسعى إلى نشرها، والتعريف بها، وإعادة كتابتها باستعمال الوسائل الحديثة، وتقديمها إلى الأمة مادة صحيحة موثقة إلى الدراسات في المستقبل.

٢-ضرورة فتح مركز حفظ المخطوطات في (كردستان)، إذ لا تحظى المخطوطات بالعناية اللازمة لها.

٧. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: د.عبد السلام الهراس، دار الفكر، بلا تاريخ.

ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، ١٩٨٦م.

ابن خلكان، شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

ابن دحية، عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري و د. حامد عبد المجيد و د.أحمد أحمد بدوي، راجعه: د.طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، بلا تاريخ

ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: د.محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، حققه: شعيب الأرناؤوط و محمد كامل، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠٠٩م.

أبو يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى الموصلي، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط٢، ١٩٩٠م.

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا تاريخ.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٥م.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨م .

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بلا تاريخ.

بابان، جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد، ١٩٨٦م.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار البشرى، ٢٠١٦م .

البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،تصوير: مؤسسة التاريخ العربي، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١م .

البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، الأسماء و الصفات، تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، ط١، مكتبة السوادي، جدة.

التلمساني، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

الجوم حيدري، د.جواد فقي على الجوم حيدري، مولانا خالد النقشبندي ومنهجه في التصوف، كتاب ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠١٧م.

الحسيني، السيد عبد الرزاق الحسيني، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، ط٣، ١٩٥٨م.

الخال، محمد الخال، البيتوشي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧م.

الخال، محمد الخال، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، مطبعة التمدن، بغداد، بلا تاريخ.

الداوودي، شمس الدين بن أحمد الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تارخ.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ.

الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

زكي، محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥١م.

زكي، محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، مطبعة التفيض الأهلية، بغداد، ١٩٤٥م.

السملالي، العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٥م.

الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، وقف على طبعه: أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١م.

العزاوي، عباس العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٢م.

العمراني، يحيى بن أبي الخير العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض – السعودية -١٩٩٩.

القزويني، عبد الكريم بن محمد القزويني، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

كنون، عبد الصمد كنون، الجراب الجامع لأشتات العلوم والآداب، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ١٩٨٦م .

المدرس، عبد الكريم محمد المدرس، علماؤنا في خدمة العلم والدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٨٣م.

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١م .

الناصري، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

الهاشمي، أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مكتبة دار البيروتي، ط٣، ٢٠٠٦م .

الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، جامعة بغداد، بلا تاريخ

اليافعي، عبد الله بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

الملحقات:

الأدب العربي

(٢)

اسم المخطوطة: منظومات الشيخ معروف النوديهي (ت ١٢٥٤هـ)

اسم المؤلف: الشيخ محمد بن مصطفى المشهور بالشيخ معروف النوديهي.

تاريخ التاليف: مجهول.

اسم الناسخ: الشيخ مصطفى ابن السيد احمد النقيب. (حفيد الشيخ معروف).

تاريخ النسخ: ١٢٩٧ هـ.

عدد الأوراق: (٤٠) ورقة (٨٠) صحفة. عدا البيضاء منها.

قياس الورق: ٢٠،٥ × ١٣ سم، تقريباً.

لون الورق: ابيض.

عدد السطور: ٧–١٩ يختلف باختلاف الصفحات.

نوع الخط: المنظومات العرّبية كتبت بخط النسخ، والفارسية بالخط الفارسي.

التصنيف: ٨٩١،٥٩٧١٠٦٢.

الكتاب مجلد متوسط الحجم. يمكن ان يطلق على المجلد اسم (مجموعة من اعمال الشيخ معروف النوديهي). اكثرها بخط الشيخ مصطفى بن السيد احمد ابن السيد رسول البرزنجي (حفيد المؤلف) وفيها خط نساخ آخرين.

(هـ) تخميس للشيخ معروف النودهي علي قصيدة (يا من يرى)

تبدأ القصيدة بعد البسملة بـ:

يا من يجود بما يشاء ويمنع يا من اليه في النوائب يُفزَع
يا من به شمل المآرّب يُجمع يا من يرى ما في الضمير ويسمع
انت المعُد لكل ما يتوقع

وهي مخمستان كتبتا في ثلاث صفحات. من ذات الورقة، والخط واضح وجميل. وكتبت ابيات القصيدة الاصلية (يا من يرى) تحت خطوط حمراء.

وتنتهي بهذه التخميسة:

ناجيت رَبي راجياً لنواله متوســـلا بجلاله وجماله
وخليله المحمود كل خلاله ثم الصلوة على النبي وآله
خير الخلائق شافع ومشفع

وكتب الناسخ في اخرها: هذه المنظومة قد كتبت في يوم الثلاثاء. حيثما كانت المدينة محاصرة من قبل الهموند. ثم كتب بيتين بالفارسية وارّبعة ابيات بالعرّبية. ثم اشار الناسخ الى انه كتبت هذه القصيدة على النسخة التي كتبها الناظم بخط يده.

المصدر: اسرة الملا محمد امين البلباسي الكركوكي.

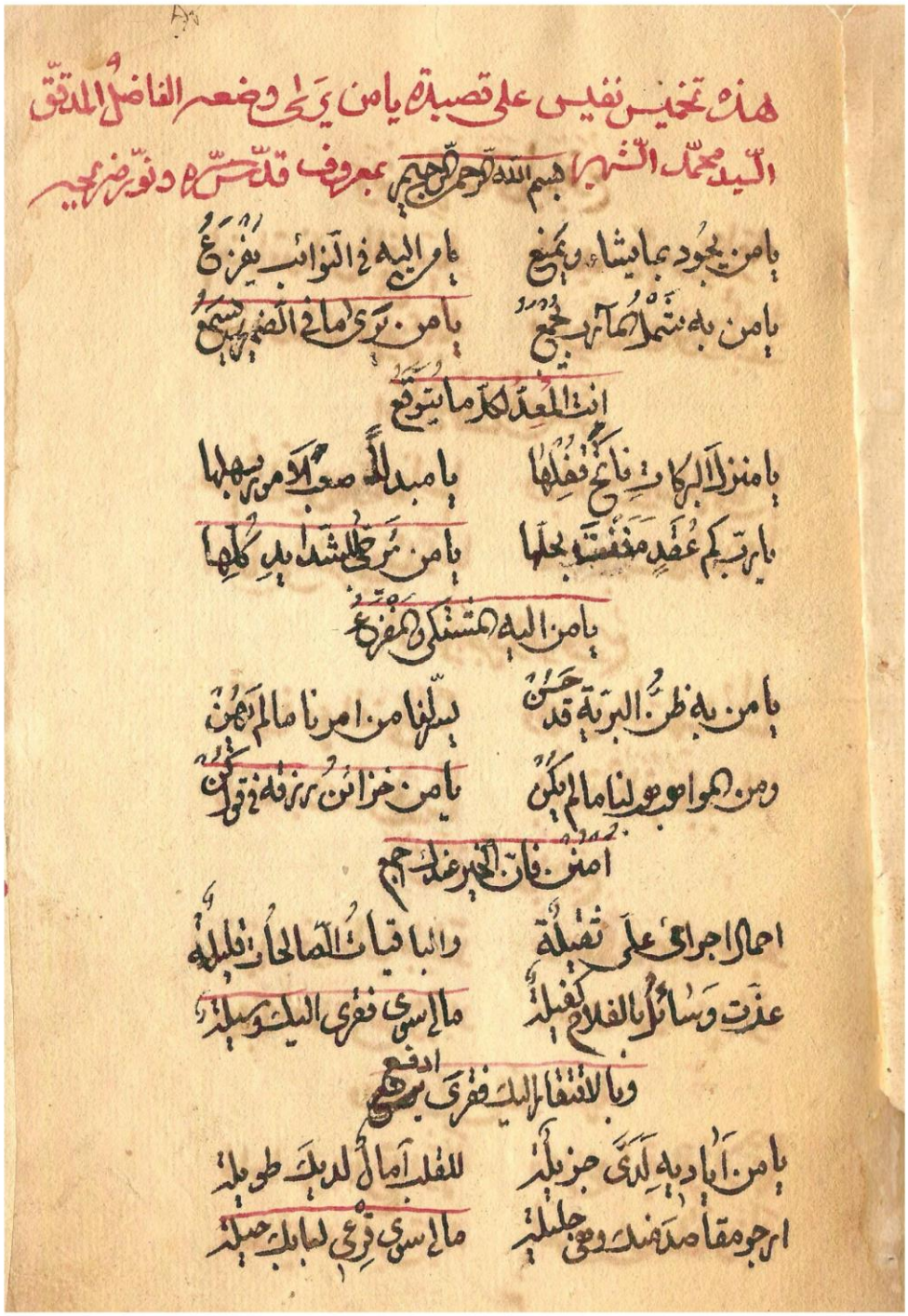

هذه تخميس نفيس على قصيدة يا من يرى وضعه الفاضل المدقق
السيد محمد الشهير بسم الله الرحمن الرحيم بمعروف قدس سره ونور ضريحه

يا من يجود بما يشاء ويمنع ... يا من اليه في النوائب يفزع
يا من به تتمم الصالحات وتجمع ... يا من يرى ما في الضمير ويسمع
انت المعد لكل ما يتوقع

يا منزل البركات فائح نفلها ... يا مبدل الصعب الامور بسهلها
يا رب كم عقد مغلق بحلها ... يا من يرى حل الشدائد كلها
يا من اليه المشتكى والمفزع

يا من به ظن البرية قد حسن ... يسر لنا من امرنا ما لم يكن
ومن الهموم خلصنا ما لم يكن ... يا من خزائن رزقه في قول كن
امنن فان الخير عندك جم

احمل اجرای علی ثقیلة ... والباقیات الصالحات قلیلة
عذت وسائل بالفلاح کفیلة ... ما لی سوی فقری الیک وسیلة
وبالافتقار الیک فقری ادفع

یا من ایادیه لدی جزیلة ... للقلب آمال لدیک طویلة
ارجو مقاصد منک وهی جلیلة ... ما لی سوی قرعی لبابک حیلة

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v5n2y2022.pp182-193

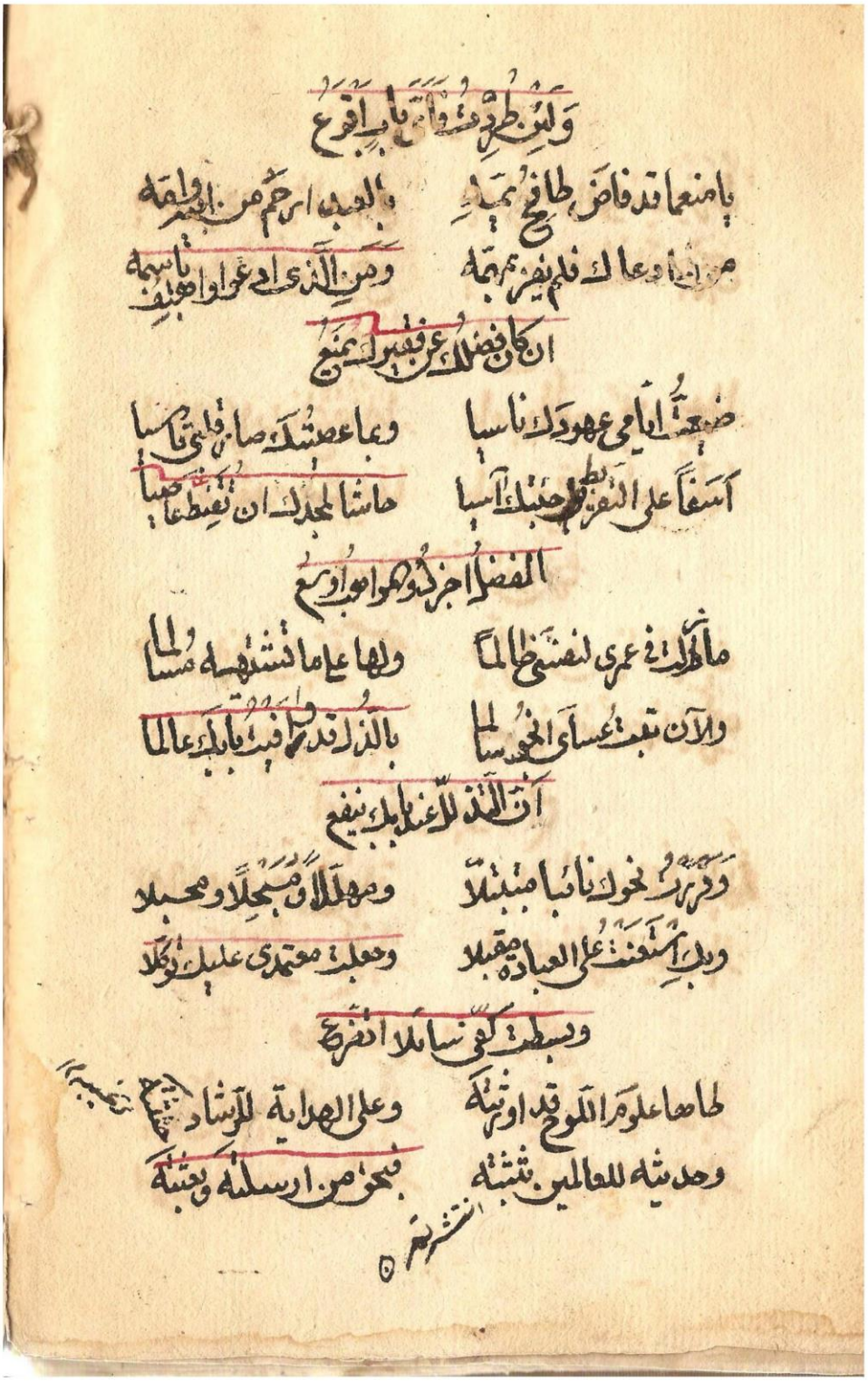

ولئن طرقت بابا فرع

يا منعما قد فاض طافح بحره ... بالعبد ارحم من ابتسام واسمه

من انا وعاك فلم يفز بمرامه ... ومن الذي اعراه اهوال بابسمه

ان كان فضلك عن فقير ممنع

ضيعت ايامي عهودك ناسيا ... وعاصتك صاف قلبي قاسيا

اسفا على التفريط في حبك اسيا ... حاشا لمجدك ان تقنطا عاصيا

الفضل اجزل وهو اوسع

ما اهملت في عمري لنفسي ظالما ... ولها على ما تشتهيه مسالما

والآن تبت عساى انجو سالما ... بالذل قد رفعت بابك عالما

ان الذل لاعتابك ينفع

وفقيرك نحوك نائبا متبتلا ... ومهللا ان مسجلا ومحللا

وبك استغاث على العباد مقبلا ... وجعلت معتمدي عليك توكلا

وبسطت كفي سائلا افرج

لطاها علوم اللوح قد اوتيته ... وعلى الهداية للرشاد بنيته

وحديثه للعالمين شبيته ... فبحر من ارسلته وبعثته

انشرح ٥

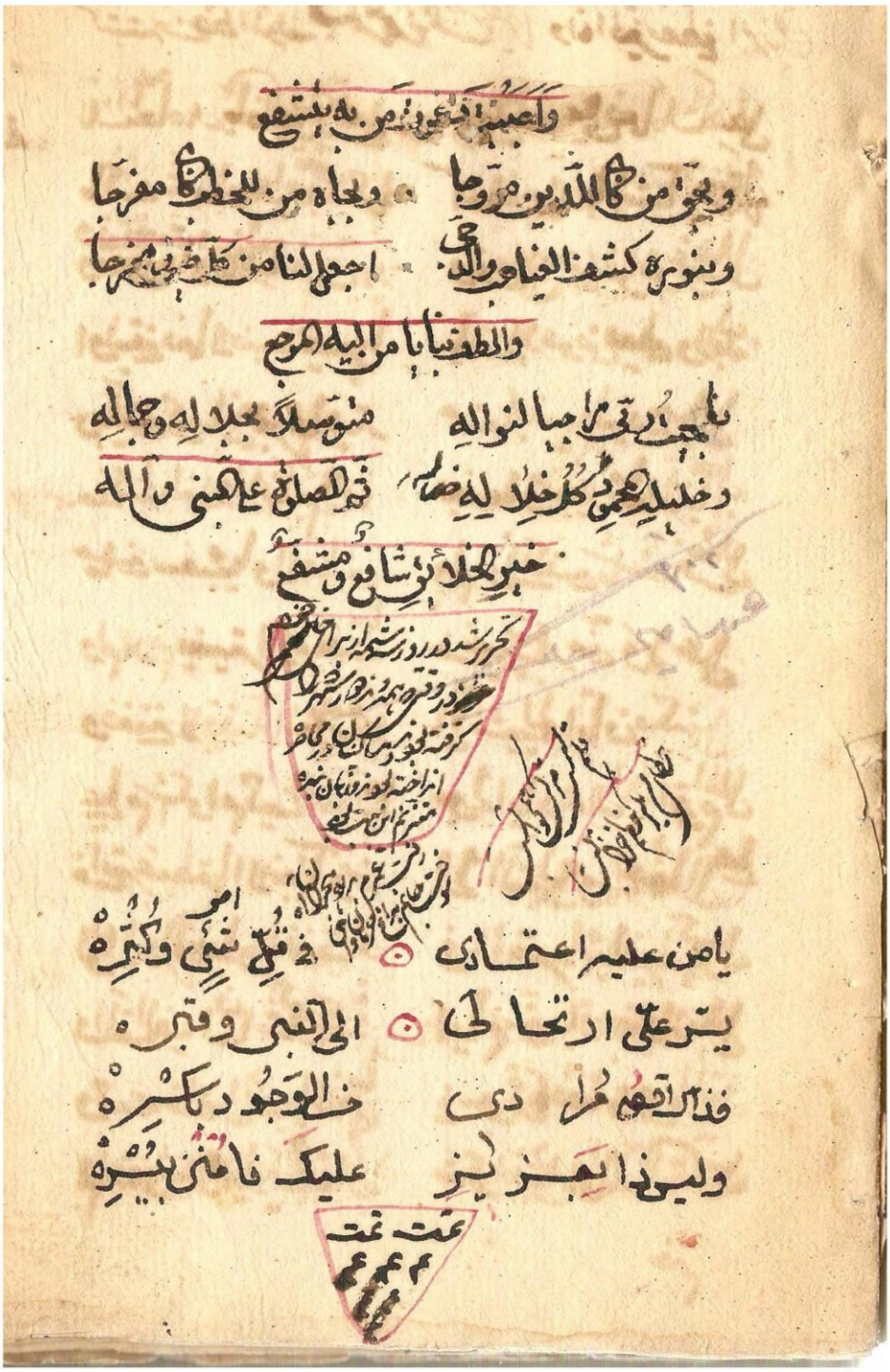

واجبه فيمن به يشفع

ويجي من كالدين مرجا ○ ويجاه من للخطب كان مفرجا

وبنوره كشف العناء والدجى ○ اجعل لنا من كل ضيق مخرجا

والطف بنا يا من اليه المرجع

يا حبذا رقي مراجا النواله ○ متوسلا بجلاله وجماله

وخليله محمد كل خلا له ○ ثم الصلوة على النبي وآله

خير الخلائق شافع ومشفع

يا من عليه اعتمادي ○ في قل شيء وكثره

يسر على ارتحالي ○ الى النبي وقبره

فذا اقصد مرادي ○ في الوجود بكثره

وليس ذا بعزيز ○ عليك فامنن بيسره

تمت تمت

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v5n2y2022.pp182-193